

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال: 59]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

العلاقة بين
تسليّة نبيّه من
خيانه أعدائه،
وأنّ نجاتهم لا
تعجز قدرة الله

لَمَّا بَيَّنَّ تَعَالَى مَا يَفْعَلُ الرَّسُولُ فِي حَقِّ مَنْ يَجِدُهُ فِي الْحَرْبِ، وَيَتِمَكَّنُ مِنْهُ، وَذَكَرَ أَيْضًا مَا يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَهُ فِيمَنْ ظَهَرَ مِنْهُ نَقْضُ الْعَهْدِ، بَيَّنَّ أَيْضًا حَالَ مَنْ فَاتَهُ فِي يَوْمٍ بَدْرٍ وَغَيْرِهِ؛ لئَلَّا يَبْقَى حَسْرَةً فِي قَلْبِهِ، فَقَدْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ بَلَغَ فِي أَذِيَةِ الرَّسُولِ ﷺ مَبْلَغًا عَظِيمًا، فَقَالَ: لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا؛ وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ لَمَّا سَبَقُوا فَقَدْ فَاتُوكَ، وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى إِنْزَالِ مَا يَسْتَحَقُّونَهُ بِهِمْ⁽¹⁾.

فَالْآيَةُ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، عَلَى مَا بَدَأَ بِهِ أَعْدَاؤُهُ مِنَ الْخِيَانَةِ مِثْلَ مَا فَعَلَتْ قَرِيبَةٌ، وَمَا فَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سُلُوكُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ نَجَوْا يَوْمَ بَدْرٍ، وَطُمَأْنَنَ لَهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ بِأَنَّهُمْ سَيُدُونُ مِنْهُمْ، وَيَأْتُونَ عَلَى بَقِيَّتِهِمْ، وَتَهْدِيْدُ لِلْعَدُوِّ بِأَنَّ اللَّهَ سَيَمَكِّنُ مِنْهُمْ الْمُسْلِمِينَ⁽²⁾.

✽ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

لا أخذ يفلت
من عقاب الله،
وحسابه، مهما
كانت حيلته
وتحصيناته

هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِيمَنْ أَفْلَتَ مِنَ الْكُفَّارِ فِي بَدْرٍ، وَالْخَطَابُ مُوجَّهٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ وَالْمَعْنَى: لَا تَظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَاتَتَيْنِ اللَّهَ تَعَالَى، وَنَاجِينَ مِنْ عِقَابِهِ، وَمُفْلَتِينَ مِنْ حِسَابِهِ، فَإِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ طَالِبَهُمْ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُظْفَرَكَ اللَّهُ بِهِمْ، أَخَذَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ فِي أَهْلِ بَدْرٍ، إِلَّا أَنَّ الْعِبْرَةَ بَعْمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ⁽³⁾.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 15/498.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/5.

(3) أبو حيان، البحر المحیط: 4/505، والضاوي، حاشية على تفسير الجلالين، ص: 709.

❁ الإيضاح اللُّغَوِيُّ والبَلَاغِيُّ:

توجيه إعراب (الواو) في المَطْلَع:

الواو هنا عاطفة، عطفت طبيعة تعامل النَّبِيِّ ﷺ مع مَنْ يَتِمَكَّن منه في الحرب، ومع مَنْ ظهر منه نقض للعهد، على حال مَنْ فاتته في يوم بدر وغيره، لئلا يبقى حسرة في قلبه، بعد أذيتهم له ﷺ. أو هي للاستئناف⁽¹⁾.

توجيه القراءتين في (لا يحسبن):

قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾، فيه قرأ ابنُ عامر وحفص وحزمة وأبو جعفر بياء الغيب مع فتح السَّيْنِ (يَحْسَبَنَّ)، وقرأ الباقر بن تاء الخطاب للنَّبِيِّ ﷺ (تحسبن)، على اختلاف أصول القراء أيضاً بفتح السَّيْنِ أو كسرهما، وقرأ ابنُ عامر بفتح همزة (أنهم لا يعجزون)، وقرأ الباقر بكسرهما (إنهم لا يعجزون)⁽²⁾، فعلى قراءة ياء الغيبة (يحسبن) يكون الفاعل هو قوله: (الذين كفروا)، و(حسب) فعل متعدي طبعاً، ويحتاج إلى مفعولين، يمكن أن يكون الأول محذوفاً، وتقديره (أنفسهم)، والمفعول الثاني هو المصدر المؤول من (أن) المحذوفة والفعل (سبقوا) بعدها، والتقدير: ولا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سابقين، ويمكن أن يسدَّ المصدر المؤول مسدَّ المفعولين أيضاً، والتقدير: ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا⁽³⁾، ويمكن على تقدير أبعد أن يكون الفاعل محذوفاً تقديره يعود على الرسول ﷺ أو المؤمنين، ويكون (الذين كفروا) مفعولاً به أول، و(سبقوا) مفعولاً به ثانياً⁽⁴⁾، وأما على قراءة تاء المخاطبة للنَّبِيِّ ﷺ أو مَنْ يصلح للخطاب، يكون المفعول به الأول (الذين كفروا) والثاني (سبقوا)، والمعنى: ولا تحسبن الذين كفروا سابقين⁽⁵⁾.

تسليية نبي
الرحمة الذي لا
يظلم

في تنوع القراءات
ثراء وتنوع،
يظهر روعة
الإعجاز وتفريده

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 6/3173.

(2) آل نصر، طلائع البشر، ص: 184.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، ص: 811.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 15/151.

(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 15/151.

دلالة النَّهْيِ عَنِ الْحِسْبَانِ:

النَّهْيُ عَنِ
الْحِسْبَانِ، نَهْيٌ
عَمَّا يَنْبَغِي

(لا) ناهية، والنَّهْيُ عَنِ الْحِسْبَانِ، وَالظَّنُّ هُوَ نَهْيٌ عَمَّا يَنْبَغِي؛
لأنَّ الْحِسْبَانَ لَا يَقَعُ عَلَيْهِ النَّهْيُ، إِنَّمَا الْمُرَادُ: لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَحْسِبُوا
أَنَّهُمْ سَبَقُوا؛ أَي: فَازُوا، إِذَا سَبَقُوا إِلَى عَيْرِهِمْ، وَأَخَذُوهَا، وَأَفْلَتُوا
بِهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ⁽¹⁾.

بلاغة الاستعارة في لفظ (السَّيِّئَاتِ):

إِنَّ اللَّهَ يَمْهَلُ
الظَّالِمَ؛ فَإِذَا
أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ

السَّيِّئَاتِ مُسْتَعَارٌ لِلنَّجَاةِ مِمَّنْ يَطْلُبُ، وَالتَّفَلُّتُ مِنْ سُلْطَتِهِ، شَبَّهَ
الْمُتَخَلِّصَ مِنْ طَالِبِهِ بِالسَّابِقِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ [العنكبوت: 4]، وَقَالَ بَعْضُ بَنِي فِئْتَسٍ:

كَأَنَّكَ لَمْ تُسَبِّقْ مِنَ الدَّهْرِ مَرَّةً*** إِذَا أَنْتِ أَدْرَكْتَ الَّذِي كُنْتَ تَطْلُبُ
أَي: كَأَنَّكَ لَمْ يَفْتِكَ مَا فَاتَكَ إِذَا أَدْرَكَتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ قُوبِلَ
السَّيِّئَاتِ هُنَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾؛ أَي: هُمْ وَإِنْ ظَهَرَتْ
نَجَاتُهُمْ الْآنَ، فَمَا هِيَ إِلَّا نَجَاةٌ فِي وَقْتٍ قَصِيرٍ، فَهُمْ لَا يُعْجِزُونَ
اللَّهَ، فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَيْهِمُ الْمُتَمَكِّنُ مِنْهُمْ، أَوْ لَا يُعْجِزُونَ الْمُسْلِمِينَ؛ أَي: لَا
يُصَيِّرُونَ مَنْ أَفْلَتُوا مِنْهُ عَاجِزًا عَنْ نَوَالِهِمْ⁽²⁾.

توجيه العدول عن ذكر ما سبقوا فيه:

بيان أنه لا غاية
لحياتهم، ولا
جدوى من
عيشهم

عُدِلَ عَنْ ذِكْرِ "مَا سَبَقُوا فِيهِ أَوْ مَا فَازُوا بِهِ، بَلْ أُطْلِقَ نَفْيَ ظَنِّهِمْ
أَنَّهُمْ سَبَقُوا أَيَّ نَوْعٍ مِنَ السَّيِّئَاتِ، أَوْ فَازُوا بِأَيِّ نَوْعٍ مِنَ الْفَوْزِ، فَالْمَعْنَى:
أَنَّهُمْ لَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَسْبِقُونَ بِأَيِّ سَبَقٍ، فَحَيَاتُهُمْ فَارِغَةٌ أَبَدًا، لِأَنَّهُمْ
لَيْسَتْ لَهَا غَايَةٌ؛ لِأَنَّ أَيَّ سَبَقٍ لَهُمْ فَهُوَ لَفْوٌّ، وَأَنَّ نَهَايَتَهُمْ وَاحِدَةٌ إِنْ
اسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَالِبٌ، وَالنَّصْرُ لِلْمُؤْمِنِينَ"⁽³⁾.

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 6/3173.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/53.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 6/3173.

توجيه قراءة كسر همزة (إِنَّ) وفتحها:

أكثر القراء على كسر (إِنَّ) في قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ وهو الوجه؛ لكون الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً جواباً عن سؤال تثيره جملة: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا﴾؛ ولأنه ابتداء كلام غير متصل بالأول كقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ [العنكبوت: 4]، وتم الكلام، ثم قال: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، فكما أن قوله: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ منقطع من الجملة التي قبلها، كذلك قوله: إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ. وهي في معنى تعليل نهيهم عن حسابان أنهم سبقوا، حين ظنوا أنهم فازوا عندما سبقوا إلى غيرهم، وأخذوها، وأفلتوا بها؛ لأنه ما دامت النهاية للمؤمنين، وأنهم لَا يُعْجِزُونَ، فالهزيمة لاحقة بهم مهما سبقوا، ومهما يفوزوا في حركات ليست هي النهاية، والله من ورائهم محيط حتى يوم القيامة⁽¹⁾. وهناك قراءة بفتح (أَنَّ) على حذف لام التعليل؛ فالجملة في تأويل مصدر هو علة للنهي؛ أي: لأنهم لَا يُعْجِزُونَ، جاء في الكشف: كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل إلا أن المكسورة على طريقة الاستئناف، والمفتوحة تعليل صريح⁽²⁾، والمعنى الجملي للنص السامي أنهم مهما سبقوا ويفوزوا فإن الغلب عليهم، ولا تحسبهم معجزين من المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَا يَغْرَتُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ۚ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ⁽³⁾﴾.

بلغة التعبير بالمضارع، وحذف مفعول ﴿يُعْجِزُونَ﴾:

التعبير عن نفي العجز بالفعل المضارع ﴿يُعْجِزُونَ﴾، وما يدل عليه من التجدد الاستمراري، وحذف مفعول ﴿يُعْجِزُونَ﴾ إيجازاً

مهما يغلبوا فإن
الغلب عليهم،
ولا تحسبهم
معجزين
للمؤمنين

بيان أنهم لا
يعجزون الله في
أي شيء، وعلى
الدوام

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 15/498، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 6/3173.

(2) الرمخشري، الكشف: 2/231، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/54.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 6/3173.

وتعميماً ليشمل الله والرسول والمؤمنين، فهم أعجز من أن يعجزوا الله أو رسوله أو المؤمنين، كل ذلك يؤدي إلى شحذ همّة المؤمنين وتقوية بنيانهم وجبر خواطرهم، ويؤدي بشكل آخر مواز لهذا إلى تهديد الكافرين، وزعزعة بنيانهم، وتقويض أوهامهم.

بلاغة المؤكّدات:

لا شك أنّ نظم الجملة «إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ» يشبه نظم الجملة السابقة: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ»، وما قيل هناك من وجوه بلاغيّة يصلح أن يُقال هنا، من حيث تقدّم المسند إليه المبتدأ على المسند الفعليّ المنفيّ، وما يتبعه من تقوية الحكم أو تخصيصه، فضلاً عن أنّ هذه الجملة هنا قد حظيت بالمؤكّدات التي حظيت بها الجملة السابقة.

التوكيد يرفع
معنويات
المؤمنين، ويحقّق
التعريض
بالكافرين

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس عشر، سورة الأنفال من الآية 27 إلى سورة التوبة الآية 22
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس عشر، سورة الأنفال من الآية 27 إلى سورة التوبة الآية 22
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 16، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-12-8

يشتمل على ارجاعات ببلليوجرافية.

مج. 16: المجلد السادس عشر، سورة الأنفال من الآية 27 إلى سورة التوبة الآية 22.

1- القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-768-12-8

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9828150 بتاريخ 2024/01/18م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»